6. تطور موضوع ومنهج الدراسات الثقافية

1. تطور موضوع الدراسات الثقافية:

تطور موضوع واعتمام الدراسات الثقافية عبر عدة مراحل:

***المرحلة الأولى:**

تشمل مرحلة التأسيس أين كان التركيز منصبا على موضوع الثقافة، مع اعمال هوغارت ووليامز وطومبسون.

واتجهت الاعمال في هذه الفترة نحو تحديد مفهوم الثقافة، وطرح مفهوم جديد بدلا من المفهوم التقليدي الذي يعد معياريا ونخبويا، كونه يحصر الثقافة في الفنون الرفيعة ويربطها بالنخب والذوق الجمالي، ويفصل بينها وبين المجتمع اليومي. في حين غيرت الدراسات الثقافية هذه النظرة وطرحت مفهوما جديدا للثقافة يعتبرها أسلوب حياة تشمل الممارسات اليومية، العادات، اللغة، الاعلام، الاستهلاك...الخ، وربطها بالبنية الاجتماعية والاقتصادية. ورفض من جهة أخرى التمييز الثقافي على أساس ثقافة عليا وأخرى دنيا وانما يعترف بالتعدد الثقافي.

عموما ركزت الدراسات الثقافية اهتمامها خلال المرحلة الأولى على الثقافة الشعبية والطبقة (ربط الثقافة بالطبقة)، والصراع والعلاقة بين مجال السياسة والاقتصاد والثقافة.

***المرحلة الثانية:**

بدءا من سبعينيات القرن 20م تحول التركيز نحو تحليل الهيمنة والأيديولوجيا تأثرا بالماركسية الجديدة، حيث تم تفسير الهيمنة وفقا لمفهوم غرامشي وتأثرا بلويس ألتوسير.

كما تم اعتماد التحليل البنيوي في ابراز كيف تقوم المؤسسات، خاصة النظام التعليمي، بإنتاج أشكال من المعرفة والقيم التي تنظم بطريقة تجعلها تديم علاقات الإنتاج الرأسمالية.

واهتمت الدراسات الثقافية الى جانب ذلك بدراسة تمثلات الطبقة في الاعلام، والنظر الى الثقافة كأداة لإعادة انتاج السلطة، واعتبارها مجالا للصراع السياسي والصراع الرمزي حول المعنى.

***المرحلة الثالثة:**

في مرحلة لاحقة اتجهت الدراسات الثقافية نحو دراسات الخطاب وتفكيك الهوية خاصة خلال الثمانينيات وبرزت توجهات كل من **ستيوارت هال، رولان بارت، وميشال فوكو.**

بالنسبة **لستيوارت هال** ركز في موضوعاته على لامركزية المجتمع، والهوية المتغيرة والمتعددة. كما اهتم بدراسة طرق تمثيل المجموعات الاجتماعية عبر وسائل الاعلام، وكيف يحرم هذا التمثيل هويات ومصالح معينة من القوة. وخلال هذه الفترة طرح نموذج الترميز/ فك الترميز الذي يفسر كيف يستخدم الافراد الثقافة ويفهمونها.

أما **رولان بارت** فاهتم بتحليل النص سيميولوجيا (تحليل دلالي رمزي)، وركز على البنية الداخلية للنص، وكيف يتم انتاج المعنى داخل النص نفسه. (ماذا يقول النص)

في حين اهتم **ميشال فوكو** بتحليل الخطاب، حيث تجاوز النص الى سياق انتاجه، والشروط التي تجعل خطابا معينا ممكنا ومهيمنا، واعتبر الخطاب أداة للسلطة.

***المرحلة الرابعة:**

تمثل الدراسات التي ظهرت خلال التسعينيات والتي تناولت مواضيع مرتبطة بالجندر، ما بعد الاستعمار، سياسات الهوية، العولمة، العرق....الخ.

ويعد **إدوارد سعيد** من أبرز المفكرين في هذه الفترة والذي اعتبر الثقافة مجالا لتحليل التمثيل الاستعماري، وكيفية بناء الاخر، وأداء الهوية.

***المرحلة الخامسة:**

وهي المرحلة المعاصرة التي اتسمت بالتركيز على الثقافة الرقمية وتأثير وسلطة الخوارزميات، الرأسمالية الرقمية والصناعات الإبداعية...الخ أي كل ما يتعلق بالممارسات الثقافية وتحولاتها خلال العصر الرقمي.

2. تطور منهج الدراسات الثقافية:

تتميز الدراسات الثقافية بالانفتاح المنهجي والنظري. اذ لا يمكن ربطها بمنهج واحد، وانما هي دراسات بينية متعددة المناهج نظرا لاتساع موضوعها وتشعبه وارتباطها بعدة علوم أخرى.

ويمكن حصر عدد من المناهج المطبقة في الدراسات الثقافية فيما يلي:

***المنهج التاريخي المادي:** اعتمدت الدراسات الثقافية المنهج التاريخي المادي في تحليل السياق الاجتماعي وقراءة الثقافة في ضوء البنية الطبقية.

حيث ترى المادية الماركسية أن العوامل المادية والاقتصادية (طرق الإنتاج، علاقات العمل، ملكية وسائل الإنتاج) هي الأساس الذي يحدد البنية الاجتماعية والسياسية والثقافية. فالتاريخ لا تحركه الأفكار بل طرق انتاج البشر لوسائل عيشهم.

***المنهج البنيوي وتحليل النصوص:** ممثلة في المنهج السيميولوجي، لتفكيك الأيديولوجيا في النصوص الاعلامية.

***المنهج الاثنوجرافي:** طبق في دراسات الجمهور لتحليل تلقي المنتجات الثقافية خاصة عبر التلفزيون، يعتمد الملاحظة الميدانية، والمقابلات معمقة.

***المنهج التفكيكي وما بعد البنيوي:** تحليل الخطاب، تحليل السلطة والمعرفة، مساءلة المركزيات الثقافية.

***المنهج البيني:** وهو الجمع بين المنهج الكيفي والكمي، تحليل البيانات الرقمية، والدمج بين الاعلام والاقتصاد والسياسة وعلم الاجتماع في التحليل.